" تسريد التاريخ في رواية بحر الصمت لياسمينة صالح "

د. نسيمة علوي

جامعة سكيكدة

الملخص:

تعدّ رواية " بحر الصمت " من الروايات الواقعية لأنها تعالج أحداث فترة تاريخية محددة بطريقة مختلفة عن الروايات الكلاسيكية ، إذ تنتقل لغة النص الروائي من التعبير عن مرحلة الإقطاعية والاستبداد والعنف إلى التعبير عن مرحلة الاستقلال و الحرية والنصر الذي شهدته الجزائر بعد نجاح ثورتها . رواية (بحر الصمت) استلهمت أسلوب الحكايات السريّة كحوادث الاغتصاب من طرف جنود وأعوان المستعمر الفرنسي للفتيات الجزائريات ، كما احتضن مضمونها موضوع الثورة إذ تمّ ربطها بالزمان والمكان اللذين أرادت الكاتبة أن تحددهما لينسجما مع طبيعة العمل الروائي التاريخي الذي يعبّر عن رمزية غامضة حول ماضي الكفاح ، إذ يمثّل الرمز أحد أهم الصّفات الفنية التي تقوم عليها الرواية ، لذلك تقمّصت بعض الشخوص في رواية (بحر الصمت) أدوارا سياسية واجتماعية ويظهر ذلك في شخصية "سي السعيد" والفلاحين والعمدة قدور الذين يقدّمون أقنعة لشخصيات حقيقية في قرية "براناس".

Résumé :

Le roman "Bahr essamt" Mer du silence est un des romans qui de réalisme car il aborde les événements d' une période historique, d'une manière différente des romans classiques, le langage du texte romanesque se déplace de l' expression de la tyrannie féodale, de la violence à l'expression d'une autre étape caractérisée par la liberté, et la victoire au sein de l'indécence acquis par l'Algérie après le succès flagrant de sa révolution .

Le roman (Mer du Silence) a inspiré le style des contes secrets comme les évènements de viols commis par les soldats et les agents de la colonisation française sur les jeunes filles algériennes, elle embrasse également le thème de la Révolution puisqu'elle a été liée au temps et au lieu que l'écrivaine a voulu déterminé afin qu'ils

s'accordent avec la nature du roman historique , ce qui reflète un symbole vague et ambigu sur le passé de la lutte de libération.

Le symbole représente l' un des qualités artistiques les plus importants du roman, c'est pourquoi certains personnages dans le roman (Mer du Silence) réincarnent des rôles politiques, et sociaux comme il est reflété dans les personnage de "Si Said" et les paysans et le maire Kaddour qui fournissent des masques pour de vraies personnes dans le village Branas.

المقدمة:

خرجت الرواية الجزائرية من نفق التسريد الكلاسيكي منذ أن فجّرت الأزمة السياسية بدءا من 5 أكتوبر 1988، مبادئ الخضوع للحزب الواحد، ومن ثمّ تغيّرت أنماط التعبير الأدبي عن الذات الجزائرية، فلم يعد التقليد مماثلا لنموذج الرواية الأم " ريح الجنوب " لعبد الحميد بن هدوقة وما تلاها من أعمال حكائية تحدّثت في الغالب عن ثورة التحرير الكبرى واهتمت كذلك بإنجازات ثورة البناء والتشييد مطلع السبعينات من القرن العشرين، فكان من موضوعاتها الأثيرة ((الثورة الزراعية، والتسيير الاشتراكي للمؤسسات، والتأميمات، والطب المجاني وكذلك الأطر الديمقراطية للنضال الثوري والوطني بشكل شرعي على مستوى الجامعات وخارجها))[1].

يتّفق الباحثون في الأدب على أنّ ((الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية – بعد الاستقلال– كانت بمثابة الوليد الشرعي الذي أنجبته التّحولات الثورية بكلّ تناقضاتها))[2] لذلك لا يمكن إنكار النسق التاريخي الذي طبع أعمال الروائيين الجزائريين في مرحلة السبعينيات حيث شكّلت هموم الثورة ومطالب نيل الحرية الموضوعات الأثيرة التي لاقت استحسان جمهور القراء، إذ لم تكن الأجواء الثقافية والسياسية مناسبة لتلقّي الموضوعات الرومانسية.

---

[1] - واسيني الأعرج .**اتجاهات الرواية العربية في الجزائر**(بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية). المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1986. ص 97/96.

[2]- المرجع نفسه. ص88.

إنّ الظروف الفكرية والسياسية التي عاشتها الجزائر إبّان الحقبة الاستعمارية وجدت طريقها للتأريخ الدرامي من خلال كتابات جيل الاستقلال التي استثمرت حقائق التاريخ المكتوب والشفوي بل تجاوزت سرد الوقائع الفعلية للأحداث التاريخية إلى تشكيل مدارات تخييلية جديدة تعمل على إحياء الرمز التاريخي كنموذج مستقل عن سياقه الاجتماعي.

السند التاريخي للرواية :

لقد اخترنا نموذجا روائيا معاصرا في الأدب الجزائري تتحقق فيه إعادة كتابة تاريخ الثورة بأقلام بعيدة زمنيا عن التاريخ الفعلي للوقائع، ويتمثل العمل في رواية **بحر الصمت** للروائية الجزائرية **ياسمينة صالح** التي نالت عنها جائزة مالك حدّاد للرواية دورة 2000– 2001.

نص الرواية المختار للدراسة قدّمت فيه الكاتبة **ياسمينة صالح** صورة الرواية الجزائرية الجديدة المبنية على تفكيك البنية الخطيّة للزمن الحكائي، فالسارد الموكلة إليه مهمة تقديم تفاصيل الحكاية في الرواية يراوح عمله بين الحاضر عهد الاستقلال والسيادة الوطنية وبين ماضي الثورة ووقائع شهدائها في حركة زئبقية نافرة نحو اللغة الشعرية أحيانا ونحو السرد المشهدي أحيانا أخرى، ففي مفتتح الرواية تظهر الصورة الجديدة للنص الروائي فالكاتبة تجيد اللعب بالكلمات، لذلك يتشاكل الشعر مع القص في صورة أجناسية مختلفة عمّا عهدته الرواية الجزائرية الواقعية، لذلك لم تعد رواية بحر الصمت تجميعا حكائيا لأحداث تمّ وقوعها، وآن الأوان لسرد تفاصيلها على لسان الكاتبة ياسمينة صالح بل غدت هذه الرواية الجديدة فسيفساء زمنية تجمع بين لحظتي الحلم والحقيقة ، بين المعقول واللامعقول .

تعود تفاصيل الرواية إلى حياة سي السعيد إبّان الثورة التحريرية، إذ يعترف في بداية الحكاية المؤرّخة في فترة الاستقلال بأخطائه التي ارتكبها في الماضي إذ عمل في بداية حياته كرجل إقطاعي حيث كان يمارس سلطته على الفلاحين

الضعفاء ، فينال ثمرة جهدهم ويأتي على أموالهم دون رحمة، لذلك يقول في ثنايا حكايته ((سوف أعترف أنني لم أفعل في حياتي ما يجعلني راضيا عن تفاصيل ذاكرتي لست أشبه المرضي السياسيين الذين يكتبون سيرتهم الذاتية كي يلبسوا ذاكرة ليست لهم))[1].

كان سي السعيد يعمل عند بلقاسم –العميل للاستعمار الفرنسي – الذي أغراه للدخول معه في مواجهة الثورة، لكن سي السعيد ندم على خطاياه بعد أن تعرّف إلى عمر وهو معلّم في إحدى مدارس القرية حيث دفعه نحو الإيمان بشرعية الثورة المسلّحة وضرورتها.

سي السّعيد لم يعبّر عن موقفه تجاه الموضوع إذ كان يكتفي بالصّمت والخوف من الانضمام إلى الثّوار، وذات يوم خبّأ سي السعيد أحد الثّوار في بيته ولكن سرعان ما اكتشف أمره ففرّ إلى الجبل رفقة الثائر، وهناك تعرّف إلى شجاعة الثّوار، وأمضى سي السعيد عامين في صفوف الثورة مشاركا ضمن كتيبة بالشرق الجزائري إلى أن عاش فرحة الاستقلال مع إخوانه الجزائريين بفضل معلّمه عمر الذي دلّه على حبّ الوطن والالتحاق بصفوف النضال لأنّ الرجال يموتون والوطن وحده هو الأمانة الخالدة.

زمن حكاية بحر الصمت زمن واقعي يشتغل على النص المتخيل قبل إنجازه ودخوله دائرة السرد، إنّه زمن النص الذهني الشفوي، الذي يسكن الذاكرة الإنسانية نص يحتمل الصدق والكذب، أو الحقيقة والمجاز، هذا النص كان عبارة عن قصة حدثت أو نسجت ببراعة من طرف راو قاص، وأحداث هذه القصة تكون قد جرت في مرحلة زمنية معينة، تطبعها خصائص الحقبة الاستعمارية، وقد تظهر السنوات والتواريخ الحقيقية للقصة من خلال الصيغ الخطابية التي توظف لاحقا في النص المحوّل إلى علامات كتابية تشير إلى ذلك صراحة كقول السارد في بحر الصمت ((أفكّر في تلك الصائفة الساخنة من

[1] - ياسمينة صالح . **بحر الصمت** . جائزة مالك حداد للرواية. منشورات الاختلاف. الجزائر.2001 ص 37.

شهر أوت سنة 1955.. أفكر في رائحة البارود التي كانت تزكم الأنوف، يتظاهرون باللاشيء.. كان الهواء يفوح بارودا، والكلام وكل ما يصنع يوميات القرية، فيبدو الهدوء مريبا، مخيفا، أشبه بذلك الذي يسبق العاصفة.. والحكايات تغزل ثوب القرية بالحرب وبطولة الثوار الذين كانوا بالأمس فقط، رجالا عاديين، فصاروا أبطالا بمجرّد حملهم السلاح))[1].

إنّ العلائق الموجودة بين الأزمنة الداخلية والخارجية الموجودة في الرواية يمكن أن تدرس من منظور اجتماعي وتاريخي، إذ إنّ النص يتأثر بمختلف الاتجاهات لبناء زمن حقيقي أو قصصي يمكن اكتشافه من خلال الأحداث المعروضة للقراءة، في هذه الحالة فإن زمن الكتابة عند ياسمينة صالح يحتاج إلى كشف مدلولاته، كون الكتاب يشاركون في التعريف بعصرهم الثقافي ويتم ذلك بواسطة أساليبهم وأنظمتهم الكتابية التمثيلية ورؤيتهم للتاريخ.

إنّ توظيف أحداث تاريخ الثورة الجزائرية في عملية تشكيل النص الروائي **بحر الصمت** يمنح القارئ فرصة لاكتشاف ما غفلت عنه الكاتبة ياسمينة صالح في ملاحقة الزمن الحقيقي للقصّة داخل كتب التاريخ المختلفة، غير أنّ القارئ المثالي المهتم بجماليات التشكيل السردي لا يوازن بين النصين التاريخي والروائي في كفّة واحدة، بل يبحث عن طرائق استدعاء الأحداث والشخصيات التاريخية سواء داخل سياق النص أو خارجه لأنّ ((ما يفعله الروائي الذي يكتب رواية تاريخية هو تقديم أحداث التاريخ في قالب قصصي أي أنّه لا يؤرّخ بل يتّخذ التاريخ موضوعا للسّرد))[2].

قدّمت الروائية في الصفحات الأولى لرواية بحر الصمت وصفا جغرافيا دقيقا لقرية (**براناس**) امتزج فيه الوصف الخارجي بالوصف الدلالي الذي يعطي

---

[1] - ياسمينة صالح. بحر الصمت. ص 19.

[2] – محمد رياض وتار، **توظيف التراث في الرواية العربية**، إتحاد الكتاب العرب، سوريا، ط1. 2002.ص102.

للحادثة التاريخية صورة مشعّة لا تقدّمها المدوّنات المعرفية المهتمّة بتوثيق الحقائق الإنسانية في مرحلة زمنية ما، ولعلّ ما يصفه الروائي في نصّه من مشاعر وعواطف الناس آنذاك يفوق ما تقدّمه الكاميرا في شاشات السينما، لأنّ الصورة المشهدية المرئية توظّف المظاهر الخارجية على حساب العلامات اللسانية الخاصّة بتلك المرحلة، وهذا حال الأفلام السينمائية التي صوّرت الأبعاد التاريخية لحالة القرى والأرياف إبّان الاستعمار الفرنسي حيث استمالت قلوب المشاهدين إلى حالة من البؤس والفقر والضياع الذي كان يعانيه الشعب الجزائري آنذاك ولكنّها غفلت عمّا كان يدور في دواخل الناس.

إنّ القصة جملة من الأحداث تتعلق بزمان ومكان وشخصيات محددة ينشؤها الروائي ويتحكم في وجودها وظهورها على مستوى النص الشفوي أو المحوّل إلى علامات كتابية فيما بعد، لذلك فزمن القصة متعدد الأبعاد، أمّا السرد فهو مجموع العمليات التي يقوم بها السارد لإنتاج نص حكائي يختلف من حيث المبنى عن القصة المتخيلة ويتخذ زمنه مسارا خطيا محدد سلفا، أما الخطاب فهو مجموع الإمكانات اللغوية التي تتيحها القصة للسارد كي ينسج لها مبنى حكائيا تحكمه زمنية خفية تشبه المتواليات الرياضية.

وفي كلّ الحالات يجب على الروائي الوعي بجوهر القضايا التاريخية، لأنّها تمثّل ممارسة ثقافية محدّدة تتعلّق بفترة زمنية بائدة من سجلّ المجتمعات، وتعمل الرواية على إعادة سرد الأحداث التاريخية وفق منظور حكائي يتفق مع زاوية نظر الكاتب لأحد متعلّقات النص التاريخي لأنّ عملية تسريد التاريخ عملية جزئية لإضاءة نقطة معتمة من هذا السّجل القديم إذ ((يتوزّع علم التاريخ والرواية على موضوعين مختلفين يستنطق الأول الماضي ويسائل الثاني الحاضر وينتهيان معا إلى عبرة وحكاية)).[1]

[1]- فيصل دراج، **الرواية وتأويل التاريخ (نظرية الرواية والرواية العربية)**، المركز الثقافي العربي، المغرب. ط1. 2004. ص9

حاورت رواية بحر الصمت المكان التاريخي إذ أخرجته من مادّيته المعهودة وأسبغت عليه حميمية لغوية تجعل القارئ يحسّ بألفة المكان الموحش الذي مرّت على أنقاضه سرابيل الموت ففي ((قرية براناس على بعد 35 كلم من مدينة وهران (عاصمة الغرب الجزائري اليوم).. كانت الأشياء تبدو جاهزة سلفا، والقدر يسطر الأحداث بإتقان ممل، رغم الفقر والجهل والحرمان، تجد الناس سعداء جدّا، فرحين باللاّشيء الذي يصنع عالمهم الغريب.. كانوا يستقبلون نهاراتهم بفرح ساذج، فيخضعون عندئذ للتفاصيل التافهة التي كانت تربطهم إلى بعضهم البعض، بحيث لا أحد ينظر إلى أبعد من رجليه.. تلك ظاهرة عمّت الجميع، بيد أنّ الحرب كانت قريبة .. قريبة من القرية، بعد أن حطّت رحالها في المدن والقرى الأخرى))[1].

قدّمت الكاتبة هذا الوصف الدلالي في المقطع الأول لبداية الرواية لتكون مثالا شاهدا على مجموعة من القرى الجزائرية التي تعرضت للخيانة من طرف أعوان النظام الفرنسي وهم أبناء القرية الذين سقطوا في براثن غواية المال فنسوا واجب الوطن إذ يتماهى النصّ التاريخي والروائي فيصنعان معا مشهدا تمتزج فيه الحقيقة الغائبة بالمتخيل الإنساني، فالتباعد الزمني الذي يفصل الروائية ياسمينة صالح عن ماضي الحدث يجعلها رهينة الإسقاطات القرائية والمسموعة الصادرة عن جهات معينة قد تكون رسمية أو متداولة في أوساط شعبية .

1- دور التاريخ في تفعيل السرد :

شكّل الجبل في الذاكرة التاريخية الجزائرية معقل الثّوار ومهد الثورة المظفّرة، لذلك كان انتقال سي السعيد إلى الجبل حدثا مهمّا نقله من حياة الخيانة وبيع الهويّة الجزائرية إلى عهد الوفاء للوطن الحبيب ((كان الجبل قاعدة مقدّسة ينطلق منها الثّوار باتجاه الشهادة تمنحهم شرفا أسمى من البطولة .. كنت ثوريا

[1] – ياسمينة صالح . بحر الصمت- ص 9

متقاعدا.. لم أكن جنديا مقاتلا .. بل مجرّد مشارك ضمن كتيبة))."[1] لقد شكّل الانتقال إلى الجبل بؤرة التحوّلات الكبيرة في شخصية سي السعيد الذي رفض إغراءات العدو وصعد إلى الجبل حيث الحرمان وشظف الحياة المادية، وبالمقابل استردّ الرجل روحانيته وهويته الضّائعة، وفي الحقيقة ((لن يكون التاريخ في المنظور الروائي إلاّ الراهن طالما أنّ معنى التاريخ في الرواية هو معنى الإنسان))."[2]

يتمّ استدعاء الشخصيات التاريخية في النّص الروائي مباشرة بتوظيف أسمائها فتصبح شخصيات مرجعية ذات تاريخ أسطوري، ثقافي ،ديني...إلخ. وقد يتمّ الاستشهاد بأقوالها وهو ما يعرف بالتّناص الحواري أو تجاور النصوص ثقافيا ، فاستدعاء البطل في الرواية لمقولات الحجّاج بن يوسف الثقفي أو هتلر، سيضعه في خانة الطغاة الذين شهد التاريخ الإنساني بجبروتهم وظلمهم.

بحر الصمت عتبة عنوانية تفتح باب التساؤلات عن ماضي الأشخاص الذين باعوا شرف الوطن إلى العدو وهم لا يزالون ينعمون بالحياة بعد الاستقلال وعلى أرض الوطن يعيشون ، ولكنّ الضمير الإنساني يعذّبهم إلى الممات إذ تمارس هذه الشريحة من الناس حقوقها المدنية تجاه الجزائر الوطن الأم ولا تأبى نفور الناس والأبناء منها، وقد تكون حياتهم الخاصة من القضايا المسكوت عنها اليوم، لذلك أرادت الروائية **ياسمينة صالح** أن تطرح هذه المسألة في شكل سيرة غيرية بصوت السارد المعترف بذنوبه إلى ابنته ((أتساءل لو لم يكن الصمت بحرا شاسعا بيني وبينك ؟ لو كنت قادرا على الكلام ، لو جئت إليّ لتقول لي مثلا هيا تكلّم، قل كل ما عندك يا أبي، ماذا كان سيجري لي ساعتها ؟ يخيل إليّ أنني سأجهش بالبكاء، متذكّرا أنّ البكاء لن ينقدني من عينيك، ومن ذاكرتي التي يسكنها كل من ترك ذاكرته عندي.الصمت هو الحكم العادل بيننا يا ابنتي، فهل تسمعين حدّة وجعي داخل الصمت؟))."[3]

---

[1]- المصدر نفسه. ص 7

[2]- فيصل دراج .**الرواية وتأويل التاريخ (نظرية الرواية والرواية العربية).** ص366

[3]- – ياسمينة صالح . بحر الصمت . 31

لا تظهر الشخصيات التاريخية بصورها الشكلية المعروفة داخل النص بل اكتفت الروائية ياسمينة صالح ببعث أفعالها فأصبح الفعل السردي معادلا موضوعيا للفعل التاريخي ، كما لم تنقله حرفيا بل قامت باستعارة أحد جوانبه فقط وهي في الغالب استعارة للنماذج التاريخية الخالدة، التي تتوافق مع مستوى الخطاب الحكائي، لذلك كانت عودة الروائية ياسمينة صالح إلى تاريخ الثورة ضرورة لتأسيس رواية أصيلة لا تعيد تكرار التجارب العربية في تسريد التاريخ وإحياء الماضي بطرائق كلاسيكية لا تناسب الظروف السياقية للمتلقي الجديد لأن التاريخ يمثّل مدوّنة ثابتة المعالم نسبيا ، يستعير منها الروائي أحداث حكايته وأشكال شخوصه الورقية التي تخضع لسياق النص المحكي ولا تلتزم بإعادة صياغة نموذج الشخصية التاريخية بكل تفاصيلها لكنّ الروائي العربي ((اتخذ في التجارب الروائية الأولى للرواية العربية مطية لأغراض خارجة عن الخطاب الروائي تخدم الأيديولوجي لا الفنّي))[1].

تقدّم رواية بحر الصمت تأريخا لسياسة النظام الإقطاعي بالجزائر أيّام الاستعمار الفرنسي حيث كان يملك المالك أراضي شاسعة ويستخدم فيها مجموعة من المزارعين كأجراء عنده مقابل خمس المحصول الفلاحي، وفي ذلك عبودية وتسلّط على حقوق الناس، وقد كان سي السعيد رمزا للنظام الإقطاعي الفاسد بقوله : ((بقطعة الأرض والبيت اللتين ورثتهما عن والدي كنت رجلا محترما))[2]. ((كنت أمشي متفاخرا بنفسي عظيما أنني سيدهم جميعا))[3].

رغم الظروف الصعبة التي يعيشها الفلاحون إلاّ أنّهم رفضوا الخروج عن أرضهم لأنها تمثل لهم رمزا للوطن والهوية والاستقرار. تحدّثت الرواية عن استفادة عمدة القرية (قدّور) من هبات النظام الفرنسي ((كان قدّور واحدا من

---

[1]– – مفيدة الزريبي – **مداد التاريخ وخطاب الرواية العربية . نموذج الزيني** بركات. الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع . دمشق. سوريا ط1. 1994. ص 14.

[2]- ياسمينة صالح . بحر الصمت. ص9

[3] - المصدر نفسه. ص9

الذين استفادوا من وجود فرنسا في الجزائر فكانت فرنسا جزءا لا يتجزأ من طموحاته الشخصية كرجل من الصّعب عليه أن يكون ما كان لولا فرنسا)).[1]

من القضايا المسكوت عنها في تاريخ الجزائر هوية أبناء المغتصبات من طرف جنود الاستعمار الفرنسي وعملائه وقد كان حمزة والد العمدة قدور العميل للنظام الفرنسي نتيجة هذا الاغتصاب ((كان حمزة فرنسيا عن قناعة مطلقة، الحكاية القديمة قالت أنّ "حمزة " جاء إلى العالم نتيجة اغتصاب قام به أحد جنود فرنسا على امرأة فقيرة وجميلة.. بينما حكاية أخرى قالت أنّ أكثر من جندي واحد اشترك في الاغتصاب)).[2]

إنّ زمن القصة يستدعي ترتيبا كرونولوجيا للأحداث، التي تقع في ظروف معينة ووسط مكان محدد، ويعرف بالزمن الطبيعي وبه علائق خاصة بالزمن الكوني والإنساني عامة، إنّه اللحظات المعبرة عن واقع الشخصيات الحقيقية قبل تحولها إلى كائنات ورقية، ولكن إذا تحول الواقعي إلى تخييلي فإن الزمن المتسلسل يتماهى إلى متتاليات متفرقة تشكل وحدة خطابية إنّ تشويه الهوية الجزائرية بدأ من معقل العلم والثقافة حيث قام المستعمر بتحويل المدرسة إلى ثكنة عسكرية، والغاية من ذلك طمس معالم الهوية العربية، وقد أراد المستعمر بذلك إبعاد أبناء الجزائر عن تلقي علوم الدين والتاريخ و الوقوف ضد كلّ الأفكار الثورية التحررية الداعية للاستقلال، وفي نص رواية بحر الصمت تسريد لذلك الحدث من قبيل التأريخ الحقيقي للواقعة حيث دعا المعلّم عمر ضمير سي السعيد للعودة إلى رشده والالتحاق بصفوف الثورة مخاطبا إيّاه : ((المدرسة الوحيدة الموجودة في القرية **يا** سي السعيد حوّلها الجنود إلى ثكنة عسكرية ، ممّا جعل التلاميذ يلجأون إلى زريبة حمير لتلقي دروسهم ، وقد ذهلت عندما اكتشفت أنّ لزريبة الحمير تلك مديرا ، ومدرّسا للقرآن ، هذا أمر مخزي)).[3]

---

[1]- المصدر نفسه. ص10

[2] - المصدر نفسه. ص10

[3] - ياسمينة صالح . بحر الصمت. ص22

هذا التسجيل الزمني يمس مواقع المراتب السردية، ويعد من خصائص البناء القصصي المتميز عن التسجيلية الواقعية لتاريخ التعليم في الجزائر ورصد معالم الاستعمار الثقافي بدءا بالمدرسة كفضاء استراتيجي لتطبيق ذلك حيث تعمل رواية بحر الصمت على تكسير البنية الزمنية التاريخية إذ لا يمكن سرد أحداث التاريخ كاملة بتفاصيل أيّامها وساعاتها ودقائقها، ولو طرحت الأرض كتبا ، لأنّ طبيعة الذاكرة البشرية لا تتّسع لذلك، بل هي تحتفظ باللّحظات المثيرة والمهمّة من تاريخ الأمم .

غير خاف عن مؤرخي تاريخ الثورة الإشادة بدور المرأة في الكفاح ضدّ المستعمر بشتى الطرائق التي تتناسب مع شخصيتها كأنثى، حيث تمّ نسيان نماذج الشخصيات غير الفاعلة في التاريخ الثوري، كما تمّ إهمال الوقائع التي لم تحقّق ماض مجيد، واستنادا إلى هذا الطرح فإنّ الحكايات التي أسّست لصور تاريخية فعلية عن بطولات المرأة الجزائرية، هي تلك الحكايات المؤسّسة التي لخّصت ماضي الكفاح عن طريق إدخال النّص التاريخي في صلب الحكاية التي ((أصبحت حاجة فكرية وثقافية استوعبها العقل الإنساني عبر التاريخ وصيّرها إلى أداة لفهم العالم)).[1]

ما قدّمه عشق المرأة في رواية بحر الصمت يدخل باب المشاعر الإنسانية المسكوت عنها التي كانت دافعا لحبّ الوطن والتوبة عن الأخطاء، فالسي السعيد الذي كان يخون إخوانه المجاهدين ويعمل لصالح الاستعمار، غيّرت المرأة (جميلة) حياته ، وهي أخت المعلّم عمر رمز النّضال ، إنّ جميلة رمز للوطن الجريح الذي يحتاج للرعاية والعشق الدائم ((الحب ؟ أليس هذا ما حدث لي ؟ أليس هذا ما غيّر حياتي كلّها ، وغيّرني من مجرّد إقطاعي فاسد إلى عاشق)).[2]

---

[1] - ياسين النصير، **المساحة المختفية (قراءات في الحكاية الشعبية)** المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1. 1995، ص 9.

[2] - ياسمينة صالح، بحر الصمت، ص40.

تنتمي الروائية **ياسمينة صالح** إلى جيل الاستقلال الذي ينعم بالحرية ، لذلك كان الشعور بالنّصر في كلّ معركة يطبع الوصف الحدثي ، وهي حالة كلّ من لم يعش الثورة فلا يتوقع الخيبات ((غمرني الموت ، ودون أن أدري وجدت نفسي أتشبّث بالرّشاش الذي كان في حوزتي وأطلق النار على هدف بدا كبيرا ومهمّا.. كانت تجربتي مع المعارك لا تعدو كونها سطحية. والحال أنّني شعرت لحظتها أنّ التاريخ يبدأ من تلك اللّحظة))[1].

إنّ التعبير عن الحرب يعقبه تعبير عن النّصر والحرّية ونيل الاستقلال ((ثمّ كان الاستقلال... الاستقلال الذي أنبت الوطن سنابل جديدة في حقول لا تهاب من الموت.. الاستقلال الذي كنت أسميه نصرا لو كنت رجلا أقلّ انكسارا وفجيعة.. كان لا بد لوطن كهذا أن ينفض تراكمات زمن فاسد ليخرج من شرنقة الوقت إلى الضوء.. كان لابدّ للشهداء أن يغنّوا " قسما بالنازلات الماحقات " دون أن يرتعبوا من مقاصل "بربروس " وطاولات التعذيب في " سركاجي"))[2].

تعمل المفارقات الزمنية في رواية بحر الصمت على تحوير مجرى القصة بواسطة عمليات الاستشراف والاستذكار، فالتسلسل الطبيعي للأحداث يقرب العمل القصصي من الواقع، ويجعله نظيرا لما هو مألوف لدى الناس، لكن المبنى الروائي يسعى دوما إلى تكسير رتابة المألوف، فيلجأ بذلك إلى مجموعة من المفارقات السردية ، إذ إنّ ((بناء الرواية يقوم من الناحية الزمنية على مفارقة تؤكد طبيعة الزمن الروائي التخييلية، فمنذ كتابة أول كلمة يكون كل شيء قد انقضى، ويعلم القاص نهاية القصة، فالراوي يحكي أحداثا انقضت، ولكن بالرغم من هذا الانقضاء فإن الماضي يمثل الحاضر الروائي))[3].

---

[1] - المصدر نفسه. ص 90.

[2] - المصدر نفسه. ص100.

[3] – سيزا أحمد قاسم. **بناء الرواية**. " **دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ** ". الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر.1984. ص28.

إنّ الكتابة الروائية عن التاريخ معناها ((البحث عن الهوية وكما أنّ لكلّ إنسان هويته فإنّ لكلّ شعب هوية خاصّة به والبحث عن معرفة التاريخ لا يعني فقط البحث عن عدد المعارك والأسلحة المستعملة وعدد الذين سقطوا في الميدان والغنائم، فالبحث في التاريخ هو البحث في حركة المجتمع عبر متغيرات الأزمنة والأمكنة))[1].

لقد قدّمت رواية بحر الصمت جزئية مهمة من تاريخ الثورة التحريرية تتعلّق بإعادة فتح الدفاتر المستترة للحركى الذين اشتغلوا كأعوان للنظام الفرنسي ، ومنهم من اعترف بخطئه إبّان الثورة ، ومنهم من لا يزال على قيد الحياة وينعم بخيرات الوطن دون أن يعترف بأخطائه وفي ضوء هذه الإشكالية المتمثلة في الاشتغال على المعطى التاريخي كسند حكائي في رواية بحر الصمت يظهر تشاكل الرواية والتاريخ ، من خلال توظيف تاريخ الثورة واستدعاء علامات تاريخية بارزة تشهد على ذلك .

الإحالات :

– **تسريد** : narrativisation من الفعل narrativiser سرد ، ومصطلح تسريد على وزن تفعيل أي تفعيل السرد narration وتحريكه نحو غايات محددة من قبل السارد .

– **بحر الصمت** رواية حازت على جائزة مالك حداد التي نظمتها أحلام مستغانمي سنة 2001.

– **ياسمينة صالح** كاتبة إعلامية جزائرية من أسرة مجاهدة حاصلة على دبلوم في العلوم السياسية و العلاقات الدولية ، تعمل منذ عام 1995 في المجال الصحفي ، كما أشرفت سنة 2000 على القسم الثقافي في مجلة نسائية جزائرية .

حازت على جوائز أدبية في السعودية، والعراق، وتونس، والجزائر كما تم تكريمها في الجمعية الدولية للمترجمين و اللغويين العرب.

مؤلفات الكاتبة:

-بحر الصمت – رواية. منشورات الاختلاف، الجزائر، 2001 .

-بحر الصمت – رواية. منشورات دار الآداب، بيروت، 2003 .

-أحزان امرأة من برج الميزان – مجموعة قصصية. منشورات جمعية المرأة في اتصال، الجزائر، 2001 .

---

[1] – محمد زتيلي. **فواصل في الحركة الأدبية والفكرية الجزائرية**. دار البعث. قسنطينة .ط1. 1984.ص 144.

-وطن الكلام – مجموعة قصصية. منشورات الكتاب العربي ، دبي، 2001 .
-حين نلتقي غرباء – مجموعة قصصية. منشورات دار القلم، العراق، 2002 .
-ما بعد الكلام – مجموعة قصصية. منشورات الكتاب العربي ، دبي 2003 .
المؤلفات الفرنسية :
-LES FEMMES D'algerie " نساء الجزائر".. منشورات فولتير. باريس
-LE SILENCE DE LA MER "بحر الصمت" EDITION LA NOUVELLE
PLUME-AIX-EN PROVENCE-FRANCE. كانون الأول-ديسمبر 2004:
المترجمة . LUCIENNE TIGE
(www.arabworldbooks.com/authors/yasmina_saleh.htm)
المصدر :
1- ياسمينة صالح . بحر الصمت .(رواية) جائزة مالك حداد للرواية. منشورات الاختلاف. الجزائر.2001 .
-المراجع :
[1]- سيزا أحمد قاسم. بناء الرواية. " دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ". الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر.1984 .
2-فيصل دراج .الرواية وتأويل التاريخ (نظرية الرواية والرواية العربية) المركز الثقافي العربي . المغرب. ط1. 2004.
[3]- محمد رياض وتار . توظيف التراث في الرواية العربية . إتحاد الكتاب العرب . سوريا . ط1. 2002.
[4]- محمد زتيلي. فواصل في الحركة الأدبية والفكرية الجزائرية. دار البعث. قسنطينة .ط1. 1984.
5- مفيدة الزريبي – مداد التاريخ وخطاب الرواية العربية . نموذج الزيني بركات. الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع . دمشق. سوريا ط1. 1994.
6- واسيني الأعرج .اتجاهات الرواية العربية في الجزائر (بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية). المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر . 1986.
7- ياسين النصير . المساحة المختفية (قراءات في الحكاية الشعبية) المركز الثقافي العربي. المغرب. ط1. 1995.